

والمسلمين، أو ما أصبح يُعرف بـ "الإسلاموفوبيا"، لاسيما بعد تفجير برجتي التجارة العالمي بنيويورك، في الحادي عشر من سبتمبر 2001 م، وهذا الحدث الذي هزّ العالم بأسره، وزاد من عمق تلك الصورة التّطعية المشوهة للدين الإسلامي والمسلمين، ومن يومها أضحت ظاهرة "الإسلاموفوبيا"، أكثر حضورا في المشهد السياسي والإعلامي والثقافي الغربي، وقد تلقف الخطاب الأدبي وتحديدًا الرواية الجزائرية المعاصرة هذا الموضوع، حيث استلهمه الكثير من الروائيين الشباب لاسيما أولئك الذين يعيشون في بلاد المهجر، ويلاسون واقع المهاجرين عن قرب، ومن هؤلاء الروائي عمار لخص.

الكلمات المفتاحية: الرواية المهاجرة؛ الإسلاموفوبيا؛ الجالية المسلمة؛ العنصرية، تفجيرات 11 سبتمبر.

#### Abstract :

In many countries of the West, the manifestations of the fear of Islam and Muslims, or what has become known as "Islamophobia," appear especially after the bombing of the World Trade Towers in New York on September 11, 2001, The world has become more and more deeply the stereotyped image of the religion of Islam and Muslims. From this day the phenomenon of "Islamophobia" has become more prominent in the Western political, media and cultural scene. The literary discourse, especially the contemporary Algerian novel, has taken up this subject. It has been inspired by many young novelists, Which Living in the Diaspora, and come into contact with the reality of migrants near, and those novelist Amara Lakhous.

**Keywords:** Abandoned narrative; Islamophobia; Muslim community;

## ظاهرة الإسلاموفوبيا وتجلياتها

### في رواية المهجر

### عمارة لخص أنموذجًا

\*\*\*\*\*

*The phenomenon of  
Islamophobia and its  
manifestations in the novel of  
the Diaspora*

*Architecture of Lakhous model*

\*\*\*\*\*

ط/د. حورية بومدين

أ.د محمد أسلوغت

جامعة عنابة

مخبر الأدب العربي القديم

والحديث، مشروع الأدب الجزائري

[houriaboumediene184@yahoo.com](mailto:houriaboumediene184@yahoo.com)

#### ملخص البحث

تظهر في الكثير من بلدان الغرب من حين إلى آخر، مظاهر التعبير عن حالة الخوف من الدين الإسلامي



## مقدمة:

إنّ الإساءة إلى الإسلام والمسلمين، في الوعي الغربي المتعصّب، ليست أمراً جديداً، فقد بدا المسلم في عهد الحروب الصليبية وما قبلها، إنساناً مهووساً بالعنف، والتدين المبالغ فيه، كما وصف فلاسفة عصر النهضة الأوروبية المسلمين، بالجمود الفكري، وظهر المسلم في الطّور الاستعماري مخلوقاً يجافي العلم والمنطق، أمّا في زمن العولمة، فظهر بصفة جديدة هي الإرهابي، ومع أنّ الممارسات السّلبية من قبل بعض المسلمين المتعصّبين، ساعدت على ذلك، فإنّ صورة المسلم والإسلام المخترع في الدّهن الغربي، كانت حاضرة وجاهرة دائماً عبر التاريخ الطويل.

ولقد جعلت أجهزة الإعلام الغربية المتعولمة، من تشويه صورة المسلم والإساءة إلى الإسلام، بضاعة رائجة، فزادت من تعميق الكراهية والحقد اجاه الآخر المختلف، الأمر الذي دعا إلى المناداة بطرد المسلمين من البلدان الأوروبية، ونتيجة لهذا الهجوم على الإسلام، الذي أفضى إلى صورة سلبية عن المسلم، استولدت صورة جديدة هي الإرهابي، المهّد للثقافة الغربية، والمخرّب لاقتصاد الغرب، ويهدّد أسلوب حياة الأوروبيين وسلامتهم وأمنهم، فظهرت في الكثير من بلدان الغرب، بعض مظاهر التّعبر عن الخوف من الإسلام والمسلمين، وهو ما أصبح يُعرف في الأوساط الغربية بظاهرة "الإسلاموفوبيا"، وقد وجدت هذه الظّاهرة طريقها إلى الأدب، وتجسّدت بوضوح في رواية المهجر الجزائرية، لاسيما روايات عمارة لخوض، وعليه فإنّ هذا البحث يغوص في ثنايا الإبداع الأدبي، للكشف عن تجليات ظاهرة الإسلاموفوبيا في رواية المهجر. والسؤال المطروح هو: كيف تجلّت ظاهرة الإسلاموفوبيا في ثنائية عمارة لخوض؟

## 1. مفهوم الإسلاموفوبيا:

يبدو جلياً أنّ مفهوم الإسلاموفوبيا، يعني الخوف المرضي من الإسلام والمسلمين، إلّا أنّه في الباطن هو نوع من العنصرية، قوامه جملة من المشاعر والأفكار التّمطية المتشكّلة مُستبّقاً في الدّهن الغربي، والمعادية للإسلام والمسلمين، ومصطلح "الإسلاموفوبيا" مركب من كلمتين هما، "إسلام" وهي كلمة عربية، و"فوبيا"، وهي كلمة يونانية تعني الخوف وأصلها فوبوس، إلّا أنّ التّرجمة لدينا لهذا المصطلح هي، "الرّهاب" و بذلك يكون المعنى الاصطلاحي للإسلاموفوبيا هو، رهاب الإسلام أي؛ الخوف منه<sup>(1)</sup>.

## 2. الجذور التاريخية لظاهرة الإسلاموفوبيا:

ترجع ظاهرة الإسلاموفوبيا إلى عهود سابقة، حيث يُعدّ المفكر التّنويري الفرنسي فولتير، هو أوّل من أطلق ظاهرة الإسلاموفوبيا، من خلال النّص المسرحي المعنون بـ "التّعصّب"، والذي كتبه عام (1741م)، وفيه أمعن فولتير في تشويه صورة الإسلام، وهذا النّص الذي ظلّ مجهولاً طوال أكثر من قرن، لا يزال شبه مجهول فرنسياً وعالمياً وعربياً، على الرغم من صدوره في طبعة نادرة وسريّة، لم تُرَوّج كثيراً، عام (2001م)، عقب تفجيرات (11 سبتمبر)، وقد حمل غلاف الكتاب صورة البرجين<sup>(2)</sup>، وقد أعادت دار النّشر الفرنسية إصدار هذه المسرحية، في أوّج الحملة الشّرسية على الإسلام، والحافلة بالافتراءات والتّهم الخاطئة في حق الدين الإسلامي، "وتعترف الدّار نفسها، بأنّ فولتير كتبها ضد الدين المسيحي، ولكن تحت غطاء الإسلام... إلّا أنّ من يقرأ المسرحية، يُدرك على الفور أنّ فولتير يجهل الإسلام والعالم الإسلامي، فالنّص لا مرجعية له أحداثاً ووقائعا، وشخصيات"<sup>(3)</sup>، فبدا فولتير وكأنّه يخلق علاقات متوترة، وصراعات بين شخصيات إسلامية مجهولة الملامح والسلوك، حيث كان همّ المؤلف أن يكتب عملاً تراجيدياً، في إطار إسلامي مجهول التاريخ والمعطيات والأبعاد.

وكانت غاية فولتير " أن يُسقط الدين الإسلامي على الدين المسيحي، خشية مواجهة الكنيسة، وأن يتوارى وراء الإسلام في المعنى المجازي"<sup>(4)</sup>، وبذلك يكون فولتير قد أساء إلى الديانتين معاً، "لأنه من المستحيل إسقاط دين على آخر، ومهاجمة دين عبر دين آخر...مما يؤكد أن فولتير لم يعرف الإسلام ولا الحضارة الإسلامية، وقد يؤكد هذا الجهل بالدين الإسلامي، أن فولتير شاء فقط أن ينتقد الدين المسيحي تحت غطاء الإسلام، فتخيّل تلك الأحداث المريبة، التي لا يمكن أن يُصدقها أيّ قارئ مثقف في العصر الراهن"<sup>(5)</sup>.

وفي الحقبة الاستعمارية، كان مفهوم الإسلاموفوبيا (Islamophobia) يعني "رهاب الإسلام"، أو الخوف المرضي من الإسلام، وكان ذلك مع بدايات القرن العشرين، "فقد استعمل علماء اجتماع فرنسيون هذا الوصف لرفض جزء من الإداريين الفرنسيين، ومعاداتهم للمجتمعات المسلمة، التي يتولون إدارة شؤونها في زمن الاحتلال، وذلك الرفض والكراهية، مصدرهما عنصري بالدرجة الأولى، ثم ثقافي ونفسي، مرّده إلى الخطاب الاستعماري نفسه، الجاهل بالإسلام والمخوف منه ومن المسلمين، بحكم سابق نتيجة ريادة الحضارة العربية الإسلامية للعلم في القرون الوسطى"<sup>(6)</sup>.

ويذهب جزء آخر من علماء الاجتماع واللسانيات، إلى أنّ الإسلاموفوبيا، انتشر أكثر كمفهوم " مع قيام الثورة الإسلامية في إيران عام (1979م)، إذ استُخدم هذا المفهوم وروّج له من قبل مرجعيات دينية شيعية محافظة، لغرض ارتداء الحجاب، فوصم بمعاداة الإسلام، كما وصمت به النساء الرافضات ارتداء الحجاب لدوافع ثقافية أو اجتماعية"<sup>(7)</sup>.

وقد زاد استعمال مفهوم الإسلاموفوبيا، في مطلع العقد الأول من الألفية الثالثة، "وتحديداً إثر هجمات 11 سبتمبر 2001 م، التي وقعت في الولايات المتحدة الأمريكية، وأحدثت تحوّلاً نوعياً في واقع العلاقات الدولية، واحتلّت على إثرها بلدان إسلاميان هما العراق وأفغانستان"<sup>(8)</sup>، هذا الحدث الذي أعاد طرح إشكالية المواجهة الحضارية بين الشرق المسلم والغرب المسيحي، "والتي بشّر بها عدد من المفكرين الغربيين المتصهينين منذ نهاية الحرب الباردة، روجوا لظهور الإسلام باعتباره عدواً جديداً للغرب بدلاً من الشيوعية، ممثلة في الاتحاد السوفياتي، وروّج بعضهم لفكرة انتهاء "الخطر الأحمر الشيوعي" وظهور الخطر "الأخضر الإسلامي"<sup>(9)</sup>، ومنذ عام (2005م)، اتخذ مفهوم الإسلاموفوبيا، شكلاً خاصاً من الحقد والكراهية وموجهاً ضدّ الإسلام والمسلمين، "وتجلّى بفرنسا في أفعال عنصرية، وتميّز عنصري ضدّ المهاجرين المنحدرين من أصول مغربية، وبذلك يبدو التداخل جلياً، بين المشاعر العنصرية ضدّ العرب والأمازيغ وكراهية الإسلام، ويُجمل هذا المعطى، على الرّبط الآلي، بين الانتماء العرقي والانتماء الديني"<sup>(10)</sup>.

### 3. أسباب ربط الإسلام بمصطلح فوبيا:

إنّ تفشي ظاهرة الإسلاموفوبيا في الأوساط الغربية، تعود إلى جملة من الأسباب أهمها:

- احتواء التاريخ على الكثير من الوقائع والصّراعات بين الإسلام والغرب كانت مبنية على العداوة والكراهية.
- الجهل بالإسلام الأمر الذي جعل الغرب يشعر بالرّيبة والخوف من الإسلام ويميل إلى معاداته.
- "الخلط بين الدين الإسلامي وواقع المسلمين، نتيجة معاناة الأمة الإسلامية على مدى قرون عدة، من أزمات اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية أو ثقافية.
- الإسلام هو آخر الديانات السماوية، وليس من المعقول ربطه بسلوكيات فردية، لأنّ الإرهاب الأعمى لا دين له"<sup>(11)</sup>.

### 4. تأثير ظاهرة الإسلاموفوبيا على المسلمين في الدّول الغربية:

لقد كان تأثير هذه الظاهرة سلبيّاً على الجالية المسلمة في الدّول الغربية ومن نتائجها نذكر:

- تنامي الأعمال العدائية ضدّ المسلمين، وفي حقّ المساجد والمقابر، التي تعرّضت للتدنيس في أكثر من مناسبة.
- ظهور مجموعات من شبّان اليمين المتطرّف، تعتدي بشكل مُنظّم على المسلمين في شوارع المدن الأوروبية.
- "اندلعت في (2007م) موجة من الكراهية ضدّ المسلمين، باعتبار أنّ المهاجرين باتوا يزايمون الأوروبيين الأصليين في الحصول على فرص، وأنهم يبنون مستقبلهم في بلدانهم عبر استثمار ما يجنونه في المهجر.
- صدور قرارات تنادي بإغلاق حدود اليونان، ودول البلقان أمام اللاجئيين من سوريا والعراق ودول آسيوية للشعور بالكراهية"، (ياسين محمود<sup>(12)</sup>).
- انتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا بسرعة في الأوساط الغربية، وباتت الاعتداءات على المسلمين تأتي من معظم العواصم الأوروبية (ضدّ النساء المحجبات وأئمة المساجد)، بالضرب والمضايقة والاغتيال، وتُعتبر الولايات المتحدة الأمريكية من أكثر البلدان التي تشهد اعتداءات وجرائم ضدّ المسلمين.
- منع ارتداء الحجاب في أماكن العمل.
- "سعي الأحزاب اليمينية المتطرّفة إلى استثمار المناخ اللاحق على هجمات 11 سبتمبر (2001م)، في تكريس الخوف من الإسلام والمسلمين وتوظيفه لغايات انتخابية".<sup>(13)</sup>

## 5. الإسلاموفوبيا ورواية المهجر:

لقد تركت تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر 2001 م، بصمتها على السّاحة الأدبية، "مما أزعج الفكر والإبداع، لذلك بات من الطبيعي أن يزداد طرح إشكالية الأنا والآخر في الرواية العربية، فقد زاد حرص الذات العربية على تأكيد هويتها، والدّفاع عنها في مواجهة تُهمّة الإرهاب، التي ألحقها الآخر الغربي بها، بعد أن شاع لديه الرّهاب منها أي؛ "الإسلاموفوبيا"، فاستمرّ احتزال الأنا في صورة نمطية مشوهة"<sup>(14)</sup>، حيث انتقلت ظاهرة الإسلاموفوبيا "من كونها مسألة عفوية غير منظّمة، إلى حركة مُنّهجة ومُؤولة ومخطّطة تدعمها مؤسسات وأموال طائلة... أظهرت الحرب الوقائية والحرب على الإرهاب بأنّ الغرب نصّب النّطاق الجغرافي، كعدو جديد ضمن حرب ساخنة، وهو ما عكسته الحملة العسكرية الأمريكية في أفغانستان، لتأديب القاعدة وطالبان، وفي العراق الذي احتلّ في (2003م) بدعوى امتلاكه أسلحة الدّمار الشّامل وعلاقته بالقاعدة"<sup>(15)</sup>، ويتنامي الخوف من المسلمين، أصبحت ظاهرة الإسلاموفوبيا، لا تتوقف عند حدود أوروبا أو أمريكا، وإنما أصبحت الظّاهرة تُطال كلّ بلدان العالم اليوم ودون استثناء، ممّا وضع الجالية المسلمة في الواجهة، لذلك فالمهاجر من البلدان العربية والإسلامية يواجه صعوبات شتى.

وأُتوقّف عند ثنائية عمارة لخوض "كيف ترضع من الذّئبة دون أن تعضّك" الصّادرة سنة 2006م، و"القاهرة الصّغيرة" الصّادرة سنة 2010م، انطلاقاً من تخصّص عمارة لخوض الأكاديمي، وتجربته في العمل في مجال اللاّجئين والمهاجرين في إيطاليا، في كتابة رواية المهجر القريبة من هذه الفئة، وباعتبار أنّ هذه الثّنائية تجسّد وعي الذات والآخر، إزاء دعاية الغرب المغرضة ووسائله الإعلامية، ضدّ الإسلام وحمولات التّخويف من المسلمين في بلاد المهجر حيث أصبح يُشاع لدى وسائل الإعلام الغربية مصطلح "الإسلاموفوبيا"<sup>(16)</sup>.

## 6. كراهية الإسلام وربطه بالعنف والإرهاب:

كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك:

تُعّين هذه الرواية موقف الغرب أو أوروبا أو إيطاليا، من المهاجرين المسلمين، من خلال شخصية أحمد ساملي من الجزائر، الذي غادر بلاده إلى روما إثر اغتيال جماعة إرهابية خطيبته بهجة، والتهديد بقتله فيغير اسمه من أحمد إلى أمديو من أجل قبوله في مجتمع الآخر.

وتعالج هذه الرواية مجموعة من القضايا المتشابكة، داخل عمارة بين الساكنين المهاجرين والإيطاليين، حيث يقطن هؤلاء المهاجرين في عمارة تملكها سيّدة إيطالية بحى فيتوريو بالعاصمة الإيطالية روما، ويحيون حياة صعبة "عانوا كثيرا من العنصرية ومن الملاحقات بسبب أنّ معظمهم لا يملك وثائق رسمية ويتواجدون بطريقة غير شرعية على الأراضي الإيطالية" (17)، فموضوع فوبيا الإسلام والمسلمين، ينطلق باكتشاف سكان العمارة جثة شاب إيطالي داخل مصعد العمارة، فتتجه أصابع الاتهام إلى هؤلاء الشباب المهاجرين، وتحديدًا إلى الشاب الذي يدعى أمديو، لاسيما وأنه اختفى يوم الجريمة، "فالجرم لا بُدّ أن يكون من هؤلاء المهاجرين الذين جاؤوا من بلدان متخلفة ومعروفة بالعنف" (18)، ومن ثمة فإنّ الرواية تقوم على الطابع الصراعي، الذي يضبط علاقة الإيطاليين بغير الإيطاليين القائم على الخوف من المسلمين ودينهم، والدعوة إلى طردهم من إيطاليا، بالإضافة إلى التساؤلات "التي تطرحها الشخصيات عن الهوية، والهجرة غير الشرعية، والعنصرية، وقضايا متعلّقة بالخصوصيات الثقافية للجماعات البشرية، في سياق الظرف الدولي العام، الذي يميّز العلاقة بين الغرب والإسلام غداة أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 م" (19).

القاهرة الصّغيرة:

تُعّد رواية القاهرة الصّغيرة، من الروايات الجزائرية التي عاجلت توتر العلاقة بين الشرق المسلم، والغرب المسيحي، على إثر تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر، "حيث أثارت العديد من القضايا الفكرية والاجتماعية المعقّدة، التي يتشابك فيها الدين مع السياسة، تمثّلت في الصراع بين الغرب والإسلام، واللّغة التي سادت بينهما هي لغة التّصادم والتّضاد واتّسمت عند الغرب في كون المسلمين إرهابيين، ودعاة عنف، وتجسّدت نظرتهم العدائية، في تكريس شتى الوسائل لتلبية رغباتهم ومطامعهم في تطبيق سياستهم، من غير أن يحترموا أبسط قواعد الإنسانية" (20).

ولقد تباينت معالم الصراع بين الأنا و الآخر في رواية القاهرة الصّغيرة، فمنها ما هو صراع ثقافي حضاري، وصراع بين المهاجرين والإيطاليين، نتيجة الخوف من الإسلام والمسلمين، فالمتّبع لمجريات أحداث الرواية، يجدها تتناول قضية العلاقة بين الشرق والغرب من زوايا عديدة، فنلمح فكرة العداء للمسلمين ودينهم م خلال المناقشات القائمة بين أبطال الرواية ومنها، "الحديث عن تفوّق الإسلام عن سائر الديانات واستحالة التّعايش مع اليهود والنصارى" (21)، حسب زعم الغرب، لكن الروائي يُفنّد هذا الرّأي، ويُعبّر عن عدم اقتناعه بهذه الفكرة، التي تشوّه مبادئ الإسلام السّليمة، في تعامل المسلمين مع غيرهم من الديانات الأخرى، ويأتي الرّد على لسان بطلة الرواية صوفيا "هذه الفكرة لم تقنعني تماما لأنّ صديقتي في الثانوية كانت قبطية" (22).

فمن خلال هذه العبارة، يحاول الروائي تصحيح بعض الأفكار الخاطئة عن الإسلام، "وإذا حاولنا العودة للتاريخ للتدليل على مظاهر العلاقات بين الشرق والغرب، فإننا لاشك سنعثر على تبادل لغوي وفكري وديني بين العرب والشعوب



المجاورة<sup>(23)</sup>، ونجد القرآن الكريم يشير إلى إقامة علاقات متميزة مع أهل الكتاب، "كما أنّ الدستور الذي وضعه الرسول صلى الله عليه وسلم، يعكس معاني السلم والتّرحيب بالآخر (بالاختلاف)"<sup>(24)</sup>.

وتستمر تلك الصورة النمطية في أذهان الغربيين والمشوّهة للأنا العربية، "والتي كانت قد بدأت بالظهور منذ بداية الاحتكاك بينهما في القرن الثامن عشر"<sup>(25)</sup>.

هكذا سمعت صوفيا الإيطاليين يتحدثون عن العرب، في إحدى القنوات الإذاعية الإيطالية، حول الإسلام وربطه بظاهرة الإرهاب بحضور خبيرين مختصين، فتقول: "استوقفني تعليق أحدهما: إنّ الشرّ متجذّر في الإسلام، وقد أنتج العنف والصراعات على مرّ القرون، الطامة الكبرى هي أنّ المسلمون لا يعرفون معنى الحب، ولكن الضيف الثاني ردّ عليه: لقد استخدم المسيحيون واليهود والهندوس وغيرهم العنف باسم الدين، يكفيّا نحن الكاثوليك ذكر محاكم التفتيش في القرون الوسطى"<sup>(26)</sup>.

يأتي هذا الرّأي على شكل مناقشة بين الخبيرين لظاهرة الإرهاب التي ينسبها الخبير الأوّل إلى الدين الإسلامي، أمّا الخبير الثاني فيرى أنّ العنف موجود في كل المجتمعات عبر العصور.

وأما ظاهرة الإرهاب فلا دين لها، بل يذهب إلى أبعد من ذلك بتهام المسيحيين بأسبقية استخدام العنف والإرهاب ضدّ المسلمين وغيرهم وطردهم من الأندلس، "فالكراهية والحقد والإرهاب الأعمى لا تعرف دينا ولا وطناً"<sup>(27)</sup>، ومن ثمة فإنّ النقاش الذي دار بين الخبيرين، يعكس الخطورة التي تطبع موضوع الإسلاموفوبيا، وتأثيراته السلبية على الجالية المسلمة، لاسيما في الوقت الذي كُتبت فيه الرواية، ممّا أدى بالغرب إلى ربط ظاهرة الإرهاب بالدين الإسلامي، وبثقافة وحضارة المسلمين، إنّ حديث الخبيرين هو صورة مصغّرة لما يجري في المجتمع الدولي من نقاشات سياسية وحضارية وثقافية، حول الديانتين الإسلام والمسيحية.

## 8. الإسلاموفوبيا وخطر الجالية المسلمة:

يعيش المهاجر في إيطاليا الابتزاز، ويتحمّل الإهانة وسوء المعاملة وشتى أنواع العنصرية، فالمهاجرون المسلمون إرهابيون في نظر الغرب، هذا ما حصل لبطل رواية القاهرة الصّغيرة صوفيا، التي تعرّضت للإهانة من قبل مواطن إيطالي في سوق الخضّر والفواكه، حيث وصف حجابها بالبرقع الأفغاني، "هذه ليست المرة الأولى التي أتجرّع فيها مرارة العنصرية، أنا واثقة من أنّ حجابي هو مجرّد ذريعة، فالراهبات أيضا يرتدين لباسا كالحجاب تماما، لماذا لا ينغص أحد عليهن حياتهن؟ هذا ليس عدلاً... لم يعد الأمر مسألة حجاب أو لباس أو قماش، بل قضية كرامة، إذا لم يقبلوا بحجابي، فهذا يعني أنّهم يرفضون ديني وثقافتي وبلدي الأصلي ولغتي وعائلتي ووجودي في الحياة، وهذا ما لا أقبله أبدا"<sup>(28)</sup>، فيناقش الروائي من خلال هذا المقطع، قضية رفض ثقافة الآخر المختلف حيث يرى الغربي الثقافة العربية الإسلامية بمنظار الازدراء، غير أنّ صوفيا ومن خلال معاناتها من هذه النظرة العدائية، تبقى متمسكة بثقافتها العربية الإسلامية ومن خلال تمسّكها بحجابها والدّفاع عنه في الرواية، إنّما بمثابة الدّفاع عن هويتها، "بتّ أعاطف مع حجابي بمرور الوقت صار رمز هويتي بل جلدي الثاني، يجب أن لا أكتفي بقبوله و إنّما عليّ أن أدافع عنه أمام الملأ"<sup>(29)</sup>.

وتستمرّ مضايقة المهاجرين العرب والمسلمين، بعد "تفجيرات مناهن التي ضربت برج مركز التجارة العالمي بنيويورك في 11 سبتمبر 2001 م، والتي ألقت بظلالها على العلاقات بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي"<sup>(30)</sup>، حيث تتعرض الجالية المسلمة في العالم إلى التفتيش والمداهمات اليومية لقوات الأمن، واعتقال المهاجرين غير القانونيين، واثّام المسلمين دون تمييز

بالفساد والعبث في العالم، مما يفسر حقد الإيطاليين على المسلمين، وإتباع منهج أمريكا في التعامل مع العرب، بحجة مكافحة الإرهاب حيث تسعى " الحكومة الإيطالية إلى تقليد قانون الإرهاب الذي ابتكرته إدارة بوش بعد تفجيرات 11 سبتمبر 2001 م" <sup>(31)</sup>، ثم تلا ذلك عمليات تفجيرية في مناطق مختلفة من العالم، كتفجيرات 11 مارس 2003 م في مدريد، ثم التخطيط لضرب روما عاصمة الدولة الإيطالية، لماذا روما بالذات؟ فيجب أحد أبطال رواية القاهرة الصغيرة، لأنها مركز الفاتيكان، فالصراع إذن بين الإسلام والمسيحية، بين الهلال والصليب، إنه ذلك العداء التقليدي للإسلام، يعود اليوم تحت غطاء جديد.

### البنية السردية وتجليات الإسلاموفوبيا:

#### 1 الشخصيات:

الشخصيات إنّ ما يميّز الرواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، هو كثرة الشخصيات والمتعددة والثقافات، فقد جاءت من مناطق مختلفة من العالم الثالث، من الجزائر وإيران والبيرو، والبنغلاداش، لتلتقي في روما بحثا عن الأمن والاستقرار، لكن السؤال المطروح هو: " كيف يمكن لهم أن يعيشوا في مدينة روما دون أن يتأذوا؟ فروما في وعيهم هي صورة لتلك الذئبة التي منها بدأت معالم مدينة عظيمة تخرج إلى التاريخ، أن يعيش الإنسان مهاجرا يعني أن يقترب قدر المستطاع من الذئبة، ليوحي لنفسه عن ثدي ليرضع منه دون أن يثير غيرة أبناء الذئبة أي دون أن يثير انتباه أبناء البلد من الإيطاليين" <sup>(32)</sup>، فالمهمة ليست سهلة حيث يتضح للقارئ، " ما يعانيه المهاجرون من رفض الإيطاليين لهم بسبب أنهم مختلفون عنهم في كل شيء، فكان الاختلاف سبباً في خلق منطق صراعي جعلهم في موقع المتهم أو في موقع المدافع أو المستسلم لقدرها" <sup>(33)</sup>. فتحاول الشخصيات المهاجرة في هذه الرواية، أن تفرض وجودها بعيدا عن الشبهات، باعتبار أنّ المهاجر هو شخص " أجنبي ونظرة الإيطالي إلى المهاجر تعكس المفهوم التّمطي للأجنبي، بأنّه ذلك الشخص الغريب الذي لا يمكن الوثوق فيه، وأنّه خطير تحوم حوله الشبهات، وهو فوق ذلك مُتهم أساسي لما يمكن أن يقع في المستقبل" <sup>(34)</sup>، ويتجلى موضوع الإسلاموفوبيا في الرواية، من خلال خطاب الشخصيات الإيطالية تجاه المهاجرين، انطلاقاً من شعار " إيطاليا للإيطاليين"، فتُدافع الشخصيات المهاجرة عن الاتهامات الموجهة إليها، "وعن هويتها وكذا عن مواقفها من المنظومة الثقافية والرمزية في الفضاء الذي تعيش فيه" <sup>(35)</sup>.

وهذا ما نلمسه من خلال المناوشات اللفظية التي جرت بين المهاجر الإيراني بارويز، وشاب إيطالي الذي هدّده بقوله: " أنت في بيتي، ولا حق لك في الكلام هل فهمت أيها الحقير؟ ثم أخذ يصرخ: " إيطاليا للإيطاليين" <sup>(36)</sup>.

فلاحظ في موقف الشاب الإيطالي، " الكثير من الألفاظ العداوية و الأوصاف العنصرية التي وصف بها بارويز، فضلا عن شعار إيطاليا للإيطاليين، والذي كان يردده أكثر من مرة" <sup>(37)</sup>، وهذا الشعار يكشف عن تحيز الإيطالي لفكرة الهوية النقية، والتي تقوم على رفض الهويات الأخرى واحتقارها، ومن جهته يعبر الإيطالي أنطونيو ماريني، أستاذ جامعي في معهد التاريخ بجامعة روما، عن الاختلاف القائم بين أهل بلده، وهؤلاء المهاجرين القادمين من الجنوب بقوله: " هكذا أهل الشمال، يعملون وينتجون ويدفعون الضرائب، وأهل الجنوب يستغلون هذه الأموال، في إنشاء العصابات الإجرامية، مثل المافيا في صقلية ولا كامورا و نابولي، وعصابات الاختطاف في سردينيا" <sup>(38)</sup>، يريد الروائي من وراء كلام أستاذ التاريخ، أن ينبّه القارئ إلى المخاطر التي يعيشها المهاجر، وأنّ ما يحدث للشمال من مصائب سببه الجنوب دائماً، حسب زعم الغرب، حتى ولو

كانت لأوروبا مشاكل داخلية، وجماعات متطرفة، تمارس العنف والإرهاب ضد الإنسانية، فإن أصابع الاتهام لا بُدَّ أن تُوجَّه إلى هذا المهاجر القادم من الجنوب، مواطن الإرهاب حسب ادعاءاتهم المعرّضة.

إنَّ هذه النظرة التَّمطية للمهاجرين المسلمين، عزَّزتها تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر، والتي نتج عنها، أن شنَّ الغرب حملة مركَّزة، استهدفت الإسلام والمسلمين، بوصفهم بالإرهابيين، كما أن اختيار الروائي لشخصية أنطونيو ماريني، أن يكون أستاذًا للتاريخ، ليُطلَّ أطروحة الغرب وإدعاءاته، ولتُثبت أنَّ لأوروبا تاريخ في التطرف والإرهاب، والمتمثل في "اليمن المتطرّف الذي يتميز بالفكر العدائي إزاء العرب والمسلمين، ويطالبون بإيقاف هجرة الأجانب في أوروبا، وطردهم منها، حيث يعتقدون أنَّ الجرائم والسرقات، هي بسبب كثرة الأجانب في بلادهم كما يحمل معظمهم عداوات ضد أصحاب الديانات الأخرى غير المسيحية خاصة الإسلام، ولديهم إمكانيات كبيرة للعنف، والتاريخ مليء بجرائمهم من قتل وتفجيرات والحرائق والاعتداءات وإطلاق النار" (39).

ونجد أبطال روايات عمارة لخصوص، يُعَيَّرُونَ أسمائهم الأصلية فور وصولهم إلى بلد الآخر، وهذا الإخفاء لهويتهم من أجل تحقيق الذات وسط المجتمع الغربي، دون لفت انتباه أبناء ذلك البلد، نتيجة الشك والخوف من نجاح المهاجر المسلم، لذلك فأول ما يُطرح على المهاجر ما اسمك؟ "فإذا كان الاسم أجنبيًا فإنَّ حاجزًا أوتوماتيكيًا سيحدّد الفاصل بين "نحن" و "هم...". إنَّ الاسم يحدّد موقعنا في المجتمع، وإذا كان اسمك محمد مثلاً، فهذا يعني قطعاً أنك لست مسيحيًا أو يهوديًا، وإنما مسلمًا... ليس مهمًّا أن تكون إيطالي الجنسية، أو تُجيد الإيطالية... إذن فالاسم هو العلامة الأولى على هويتنا" (40).

ففي رواية القاهرة الصَّغيرة، يُكَلِّف بطل الرواية بمهمة التَّجسّس على المهاجرين لتوريطهم في عمليات إرهابية، فيغيّر اسمه وجنسيته حتى يتمكن من الاندماج في عالمهم وكسب ثقتهم، فيتحوّل من كريستيانو الذي يعني مسيحي في اللغة الإيطالية، إلى شاب تونسي اسمه عيسى، وينفتح المشهد الروائي على عيسى وهو يتفقد وثائقه، "أريد أن أطمئن على هويتي الجديدة فقط فدون وثيقة الإقامة أنا مهاجر غير قانوني، قد أتعرض للتَّرحيل من هذا البلد الأمين في أيّة لحظة" (41)، إنَّ إثبات الهوية أمر أصبح يؤرِّق المهاجر غير الشرعي، كما أنَّ الشخصية التي يتقمَّصها بطل الرواية كمهاجر تونسي، تبدو لطيفة ومتفتحة، وهذا عامل إيجابي لإنجاح المهمة، حيث "تضعه في رواق جيد يسهل التَّعامل مع كل الأطراف المهاجرين والإيطاليين بحرية دون أضرار" (42).

لذلك نجد الروائي يُنطقه بلسان المهاجر غير القانوني، منذ المشهد الأول للرواية، وهو يتفقد وثائقه ثم يعيّر عيسى عن معاناة المهاجر وضياعه في بلد يتميز بالعنصرية ضدَّ الأجانب، "ها أنا في إيطاليا التي يبشّر بها أو يحذّر منها علماء الاجتماع في مثل هذه الظروف، كنت أشبه بحيوان يبحث عن مأوى، لست جشعًا ما أريده هو الظفر بركن صغير تحت شمس حي ماركوني، هل أطلب الكثير؟ لا أعتقد" (43).

يناقش الروائي من خلال عبارة، إيطاليا التي يحذّر منها علماء الاجتماع في هذه الظروف، استحالة التقارب بين الشرق والغرب، في ظلّ الأجواء المتوتّرة التي تشهدها العلاقات بينهما، حيث يجب على المهاجر التَّعامل بحذر مع أبناء البلد (إيطاليا)، حتى لا توجه له تهمّة الإرهاب وغيرها، ورغم الاحتكاك المباشر لعيسى بالمهاجرين، إلّا أنَّ نظرتَه تجاه هؤلاء لم تتغيّر، فعيسى يرى بعيون غريبة فيعبر عن ذلك، "ننظر نحن الإيطاليين إلى المهاجر على أنّه مسكين يحتاج إلى الشَّفقة، ونخلط بين المهاجرين والأجانب والفارين من الحروب... أدركت أنّي لا أزال أفكر كإيطالي، ولم أفلح بعد في فهم طريقة تفكير المهاجرين" (44).



## 10. خاتمة:

وصفوة القول إنّ هناك الكثير من الشعارات والمفاهيم الخاطئة والمعادية للإسلام والمسلمين، والتي شاعت لدى الغرب، كمفهوم الإسلاموفوبيا وغيرها، وللتقليل من تأثيراتها ولاسيما على الجالية المسلمة في بلاد المهجر، لابدّ من التعريف بالإسلام في المؤتمرات الدولية، وفتح حوار حضاري جاد بين الشرق والغرب، حتى يتوقّف الانتقام من المهاجرين العرب والمسلمين، وقد جسّد الأدب ظاهرة الإسلاموفوبيا، من خلال رواية المهجر، خاصة ثنائية عمارة لخص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضّك، والقاهرة الصّغيرة، فنقلت بصدق ووعي معاناة المهاجرين في إيطاليا.

## 11

. هوامش البحث:

بوطاجين. قسنطينة، الجزائر، ط1، دار الأملية للنشر والتوزيع. الجزائر،

ط1، 2014م، ص106.

17 - بن علي لونيس: الهوية الثقافية من الانغلاق الأيديولوجي إلى

الانفتاح الحوار، قراءة في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن

تعضّك" للروائي الجزائري عمارة لخص، كتاب المحكي الروائي العربي

أسئلة الذات والمجتمع، تأليف جماعي، إشراق: منى بشلم، تقديم: سعيد

بوطاجين. قسنطينة، الجزائر، ط1، دار الأملية للنشر والتوزيع. الجزائر،

ط1، 2014م، ص106.

18 - المرجع نفسه، ص160.

19 - منى الشرافي تيم: النقد الأدبي والرواية العربية الحديثة، مجلة العربي،

العدد: 661، وزارة الإعلام، الكويت، 2013م، ص147.

20 - منى الشرافي تيم: النقد الأدبي والرواية العربية الحديثة، ص147.

21 - عمارة لخص: القاهرة الصغيرة، منشورات الاختلاف للنشر

والتوزيع. الجزائر، ط1، 141هـ/ 2010م، ص129.

22 - المصدر نفسه، ص125.

23 - سالم المعوش: صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب

الحديثة، بيروت، ط1، 1998م، ص92.

24 - مصطفى شريف: ثقافة السلم، ليتعلم الشباب الحوار، دار هومة

للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م، ص41.

25 - ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر، نماذج روائية عربية، ص7.

26 - عمارة لخص، القاهرة الصغيرة، ص88.

27 - المصدر نفسه، ص88.

28 - وردة دالي خيلية: التطرف في الدين والسياسة، مجلة التبیین،

العدد: 38، جمعية الجاحظية الثقافية، الجزائر، 2013م، ص228.

29 - عمارة لخص: القاهرة الصغيرة، ص116.

30 - وردة دالي خيلية: التطرف في الدين والسياسة، ص228.

31 - عمارة لخص: القاهرة الصغيرة، ص177.

32 - عمارة لخص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضّك، منشورات

الاختلاف للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2006م، ص177، 178.

33 - بن علي لونيس: الهوية الثقافية من الانغلاق الأيديولوجي إلى

الانفتاح الحوار، قراءة في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن

1 - ياسين محمود: ما المقصود بالإسلاموفوبيا ؟ 27/12/2016

<http://www.almarsal.com/post/428494/>

1 - عبده وازن: فولتير أول من أطلق اسم الإسلاموفوبيا، مجلة دبي

الثقافية، العدد: 90، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، دار

الصدى، 2012م، ص99.

1 - المرجع نفسه، ص99.

4 - المرجع نفسه، ص99.

5 - المرجع نفسه، ص99.

6 - الإسلاموفوبيا معاناة المسلمين في ديمقراطيات الغرب

<http://www.aljazeera.net/2016/4/19/>

7 - عبده وازن: فولتير أول من أطلق اسم الإسلاموفوبيا، مجلة دبي

الثقافية، ص99.

8 - المرجع نفسه، ص99.

9 - المرجع نفسه، ص99.

10 - المرجع نفسه، ص99.

11 - ياسين محمود: ما المقصود بالإسلاموفوبيا ؟ 27/12/2016

<http://www.almarsal.com/post/428494/>

12 - الموقع نفسه.

13 - الإسلاموفوبيا معاناة المسلمين في ديمقراطيات الغرب

<http://www.aljazeera.net/2016/4/19/>

14 - ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر، نماذج روائية عربية، عالم

المعرفة، الكويت، 2013م، ص7.

15 - هبة داودي: (ذي القعدة 1437هـ / 15 أوت 2016 م)،

الإسلاموفوبيا، الوجه الآخر لـ "الخطر الأخضر"، الغرب يحتزل

المسلمين في العنف والإرهاب، جريدة الخبر، العدد: 12، الجزائر، (ذي

القعدة 1437هـ / 15 أوت 2016م) ص11.

16 - بن علي لونيس: الهوية الثقافية من الانغلاق الأيديولوجي إلى

الانفتاح الحوار، قراءة في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن

تعضّك" للروائي الجزائري عمارة لخص، كتاب المحكي الروائي العربي

أسئلة الذات والمجتمع، تأليف جماعي، إشراق: منى بشلم، تقديم: سعيد

- 37 - المرجع نفسه، ص174.
- 38 - عمارة لخص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، ص28.
- 39 - وردة دالي خيلية: التطرف في الدين والسياسة ، ص229.
- 40 - عمارة لخص: القاهرة الصغيرة، ص21.
- 41 - المصدر نفسه، ص9، 10.
- 42 - المصدر نفسه، ص104.
- 43 - المصدر نفسه، ص10، 11.
- 44 - عمارة لخص: القاهرة الصغيرة، ص48، 49.
- تعضك " للروائي الجزائري عمارة لخص، كتاب المحكي الروائي العربي  
أسئلة الذات والمجتمع، تأليف جماعي، إشراق: منى بشلم، تقلم: سعيد  
بوطاجين، ص161.
- 34 - المرجع نفسه، ص164.
- 35 - المرجع نفسه، ص166.
- 36 - بن علي لونيس: الهوية الثقافية من الانغلاق الايديولوجي إلى  
الانفتاح الحوارى، قراءة في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن  
تعضك " للروائي الجزائري عمارة لخص، كتاب المحكي الروائي العربي  
أسئلة الذات والمجتمع، تأليف جماعي، إشراق: منى بشلم، تقلم: سعيد  
بوطاجين، ص174.